



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس جوامع الأخبار

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (6)

التاريخ: الاثنين 19/ ذو القعدة/ 1440 هـ

22/ تمّوز (يوليو)/ 2019 م

- **ملخص الدرس:**
- **شرح الحديث: (١٢) "المؤمن القوي. . ." الحديث وفيه:**
 - المراد قوة الإيمان والإرادة.
 - وفيه ثلاث جمل كلها في الحث على تقوية الإيمان والتحذير مما يضعفه.
 - 1- الأولى: في أن المؤمنين يتفاضلون عند الله بحسب قوة إيمانهم.
 - 2- الثانية: في التحذير مما يعيق تقوية الإيمان.
 - 3- الثالثة: في النهي عن التحسر على ما مضى وعن الاعتراض على قدر الله عند المصيبة، لأن ذلك يوهن القلب ويضعف الإيمان.
- **شرح الحديث ال (١٣): "المؤمن للمؤمن كالبنيان. . ." وفيه:**
 - اشتمل على أصل عظيم وهو وجوب الترابط والتراحم والمحبة بين المسلمين.
 - وأن ذلك واجب على كل أحد تجاه كل فرد من أفراد المسلمين.
 - وأن ذلك واجب كفائي تجاه المجتمع المسلم.
 - وشبه النبي عليه الصلاة والسلام المؤمن بالبنيان، وبالجسد الواحد، وبالنفس الواحدة.
- **شرح الحديث ال (١٤): "اشفعوا تؤجروا. . ." وفيه:**
 - اشتمل على أصلين عظيمين هما:
 - 1- الحث على السعي في حاجات المسلمين.

2- والسعي في الاستزادة من الحسنات والأجور مهما بدا ذلك قليلا.

- فيه بيان معنى الشفاعة وأقسامها.

- أن الشفاعة قد تكون فرض عين على القادر عليها.



الدرس السادس من شرح جوامع الأخبار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..
فهذا هو **الدرس السادس** من دروس شرح "**جوامع الأخبار**"، وفيه شرح الأحاديث (١٢، ١٣، ١٤)..
..(١٤)

« شرح الحديث الثاني عشر »

قال المؤلف رحمه الله: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ**. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ [قَدَّرَ اللَّهُ] وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم: (٢٦٦٤)).

هذا الحديث جامع في الحثِّ على أسباب القوة؛ قوة الإيمان وقوة الإرادة، وفي التحذير من أسباب الضعف في ذلك.
وقد اشتمل الحديث على ثلاث جمل، كل جملة منه من جوامع كلامه ﷺ في بابها.

● الجملة الأولى قال:

«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ**».

قوله: (**المؤمن القوي**)؛ أي القوي في إيمانه وفي إرادته، وليس في بدنه، هذا هو المعنى الصحيح للحديث.

لأن قوة البدن لا تُحمَد لذاتها، إنما تُحمَد إذا أدَّت إلى خير، وتُذمُّ إذا أدَّت إلى شر. فإننا عند التأمل نجد أن القوة في الإيمان أمر محمود مطلوب لذاته، وأما ما عدا ذلك؛ من قوة البدن أو

قوة العقل، أو قوة المال، أو قوة الجاه... وغير ذلك من القوى، إنما تُحمَد إذا أدَّت إلى قوة الإيمان وأعانت عليها، وإلاّ فإنها قوة مذمومة ولا خير فيها.

فالحديث يتناول قوة الإيمان أولاً، ثم تدخل فيه سائر القوى تبعاً لا استقلالاً، لأن هذه القوى لا تُحمَد إلاّ إذا أعانت على تقوية الإيمان. أما إذا أعانت على الشر والكفر والمنكرات فإنها قوى مذمومة كما لا يخفى.

فإن قوة الإيمان خير محض، وقوة الإيمان غاية مطلوبة لذاتها، وسائر القوى وسيلة إلى تقوية الإيمان والإرادة، وليست مقصودة لذاتها.

إذن فالمراد من الحديث: قوة الإيمان والإرادة والله تعالى أعلم. وفي لفظ الحديث إشارة إلى هذا المعنى، فقال ﷺ: **(المؤمن القوي)**؛ أي القوي في إيمانه.

لأنه لم يقل (المسلم القوي)، أو (الرجل القوي)، بل قال **(المؤمن القوي)** فدلّ على أن المراد قوة الإيمان، أو أنه المقصود الأول، وما عداه تابع له.

هذا كما نقول (العالم القوي)؛ أي في علمه، ونقول (المجاهد القوي)؛ أي في جهاده، وهكذا (المؤمن القوي) أي في إيمانه.

وهذا ما يسمى عند الأصوليين بدلالة الإيماء والتنبيه.

والأصل لقوة البدن هي قوة الإيمان؛ فإذا قوي الإيمان في القلب، قويت الإرادة والهمة على فعل الخير بأنواعه، وترك الشر بأنواعه، فتقوى حينئذ الجوارح على الطاعة.

ألا ترى أن الشيخ الكبير ضعيف البدن، وقد يكون مريضاً، ولكنه يداوم على صلاة الجماعة، ويقوى على صيام النافلة أحياناً، وعلى طول القيام أكثر من الشاب الجلد المعافى؟ وهذا راجع إلى قوة الإيمان وليس إلى قوة البدن.

وقد ورد في الكتاب والسنة الثناء على القوة عموماً إذا أفضت إلى قوة الإيمان، كقوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾⁽¹⁾

وقال العفريت لسليمان: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾⁽²⁾

¹ [الفصص: ٢٦]

² [النمل: ٣٩]



فالقوة هنا: هي القدرة على كل عمل بحسبه، وتحمد إذا استعملت في الخير. فقوة الطبيب شيء، وقوة المعلم شيء، وقوة الخياط شيء، وقوة المقاتل شيء، هذا كلٌّ بحسبه. ولكن؛ هذه القوى بلا إيمان لا قيمة لها عند الله. ولذلك، فقد عاب الله قوة المنافقين الجسدية المجردة عن الإيمان فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأْتَاهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ﴾⁽¹⁾ فهذه قوة لا خير فيها، لأنها لا إيمان معها. ولكن امتدح الرسول ﷺ جسد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع أنه كان ضعيف البنية، فقال عن ساقيه الدقيقتين: "والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد"⁽²⁾. وقال ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"⁽³⁾ إذن فقد عاد الأمر إلى قوة الإيمان التي تؤدي إلى قوة العزيمة وعلو الهمة والجِدِّ في أخذ الشريعة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ﴾⁽⁴⁾، أي؛ بجد وبحرص، وقال لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾⁽⁵⁾، أي؛ خذ التوراة بجد وبحرص، ولا يحصل أخذ الشريعة بقوة إلا بقوة الإيمان.

إذن فالمقصود من القوة في الحديث: قوة الإيمان والإرادة والعزيمة.

■ وفي هذا الحديث؛ الحثُّ على زيادة الإيمان وتقويته، ويحصل ذلك بإصلاح الباطن والظاهر؛ من الاعتقاد والقول والعمل، واجتناب المعاصي الباطنة والظاهرة. فقوله (المؤمن القوي)؛ أي القوي باعتقاده وقوله وفعله في الشريعة، لأن ذلك كله من الإيمان، وهذا يتفق مع ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أي يقوى بالطاعة ويضعف بالمعصية.

¹ [المنافقون: ٤]

² (أحمد: ٣٩٩١)

³ (مسلم: ٢٥٦٤)

⁴ [مريم: ١٢]

⁵ [الأعراف: ١٤٥]



وإن خيار المؤمنين وأحبههم إلى الله أقواهم إيماناً، وأقواهم عزيمة في أخذ الشريعة.
هذا هو المراد من هذه الجملة.

■ وفي الحديث أيضاً؛ أن المؤمنين يتفاضلون فيما بينهم في الخيرية وفي محبة الله لهم، وهذا التفاضل يكون بحسب إيمانهم.

فقال: "**المومن القوي خير وأحب إلى الله من المومن الضعيف**"، أي أن خيارهم وأحبههم إلى الله أكثرهم إيماناً.

وهذا يعني أن قوة الإيمان سبب لمحبة الله سبحانه للعبد، وهذه فضيلة عظيمة لقوة الإيمان، فإذا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدَهُ سَدَّه وَأَعَانَهُ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:
" . . . ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ، . . . " (1).

وهذا فيه دليل على إثبات صفة المحبة لله تعالى على الوجه اللائق بكماله سبحانه وتعالى، وأنه يُحِبُّ وَيُحَبُّ، خلافاً لقول المعطلة الرديء، وفيه أن محبة الله تتفاضل، فمحبة للمؤمن القوي أعظم من محبة للمؤمن الضعيف؛ أي في إيمانه.

■ ومما يستفاد من الحديث أيضاً؛ أن فيه الحث على المنافسة في أمور الآخرة؛ وذلك لأن الذي يؤدي أمور الآخرة بقوة خير من الضعيف في أدائها، والمتكاسل فيها.
وهذا أصل عليه الكثير من الأدلة من الكتاب والسنة:

كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (2)

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (3)

¹ البخاري (٢٠٦٥)

² [الحديد: ٢١]

³ [آل عمران: ١٣٣]

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۖ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ۖ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1)

فكلهم مؤمنون، ولكنهم يتفاضلون في الإيمان.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۖ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۖ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (2)

وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (3)

فهذه الآيات وغيرها من الآيات فيها حثٌّ على التنافس في أمور الآخرة، وأن يسابق المؤمن غيره من المؤمنين في الطاعات.

وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتنافسان في الخير، وتنافس جابر بن عبد الله مع أبيه عبد الله بن حرام رضي الله عنهما للخروج إلى القتال يوم أحد، ولم يتنازل أحدهما للآخر حتى صنعوا قرعة، فكانت القرعة لعبد الله بن حرام رضي الله عنه، واستشهد في تلك الغزوة. ولذلك لا يحسن الإيثار في أمور الآخرة، لأنه خلاف المنافسة المأمور بها، وإنما يحسن الإيثار في أمور الدنيا.

وكثير من الناس اليوم على العكس من هذا؛ فتجدهم ينافسون في الدنيا، وينظرون إلى من هو فوقهم في الدنيا، ولا ينظرون إلى من هو فوقهم في الدين والطاعة، فلا ينافسون على الطاعة، ولا ينافسون في الآخرة، با ينافسون في الدنيا، هذا لأن همهم الدنيا، فرحوا بها واطمأنوا بها، وغفلوا عن الآخرة.

ثم قال ﷺ: "وفي كلِّ خير"

هذا احتراز لا بد منه عند المفاضلة بين فاضلين حتى لا يتوهم السامع الحطُّ من شأن المفضل.

[1] النساء: ٩٥

[2] الحديد: ١٠

[3] المطففين: ٢٦

ذلك؛ أن المؤمن الأقل إيماناً لم ينزل عن مرتبة الإيمان، ولم يُفَرِّط في شيء من الإيمان الواجب، فلا يُذَمُّ. ولكن الغرض من الحديث بيان أن غيره أفضل منه، وذلك لِحَثِّهِ على المنافسة. ولهذا الاحتراز نظائر في كتاب الله؛ منها:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۖ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ۖ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾

والشاهد قوله تعالى ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾؛ هذا احتراز من ذمّ المفضل، لأن هذه مفاضلة بين فاضلين، وليست مقارنة بين حسن وسيء، بل كلاهما فاضل وكلاهما حسن. وهذه الآية في جهاد الكفاية.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۖ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾⁽²⁾

فأثنى الله عليهما معاً لأنهما كليهما على حق، ولكن حكم سليمان عليه السلام أصح.

وأيضاً قوله تعالى في الصحابة: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۖ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۖ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾⁽³⁾

حتى لا يتوهّم أحد ذمّ من أنفق وقاتل بعد الفتح من الصحابة، فهذه مفاضلة بين فاضلين، وليست مقارنة بين حسن وسيء كما قلنا.

فالمراد من هذا الحديث المفاضلة بين المؤمنين أنفسهم، المؤمنون كلهم شأنهم عظيم عند الله، ولكنّ أفضلهم وخيرهم وأحبّهم إلى الله أقواهم إيماناً، وأقواهم عزيمة في أخذ الشريعة، وأقربهم منزلة من الله أقواهم إيماناً. ومنازلهم في الجنة وقُرْبُهم من الله بحسب قوة إيمانهم، وبحسب قوة

¹ [النساء: ٩٥]

² [الأنبياء: ٧٩]

³ [الحديد: ١٠]

أَخَذَهُمَ لِلشَّرِيعَةِ، وَبِحَسَبِ سَابِقَتِهِمْ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ وَنَصْرَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبِحَسَبِ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

● الجملة الثانية قوله: "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**".

هذه جملة عظيمة، جامعة لفوائد كثيرة وأصول مهمة. وقد أجاد الشيخ السعدي رحمه الله، وأفاد كثيراً في شرحها في كتابه "البهجة"، وأيضاً شرحه الشيخ العثيمين في شرح بلوغ المرام والمسمى "فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام". فمن أراد الاستزادة فليراجع الكتابين المذكورين.

لَمَّا أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى بِتَقْوِيَةِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ، وَحَثَّ عَلَى التَّنَافُسِ فِي الِارْتِقَاءِ فِيهِ؛ حَذَّرَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِمَّا يَعِيقُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "**واحرص على ما ينفعك**"; فَإِنْ مِمَّا يَعِيقُ تَقْوِيَةَ الْإِيمَانِ التَّفْرِيطُ فِيمَا يَنْفَعُ.

فَقَوْلُهُ: "**احرص على ما ينفعك**": أَيُّ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ النَّافِعَةِ، وَتَرْكِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلضَّرَرِ، وَذَلِكَ فِي شُؤْنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَهَذَا مِمَّا يُقَوِّي إِيْمَانَ الْعَبْدِ.

وَمِنْ ذَلِكَ؛ الْحَرَصُ عَلَى الْوَقْتِ، فَإِنْ ضَيَاعُ الْوَقْتِ يَعْنِي ضَيَاعُ الْعُمْرِ.

التَّفْرِيطُ فِي الْوَقْتِ يُؤَدِّي إِلَى ضَيَاعِ هَذَا الْعُمْرِ الْقَصِيرِ الْمَحْدُودِ بَيْنَ أَجْلَيْنِ، يَضِيعُ بِلَا فَائِدَةٍ تَرْجَعُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ.

وَمِمَّا يُضَيِّعُ الْوَقْتَ؛ الْحَرَصُ عَلَى الضَّارِّ مِنَ الْأُمُورِ، أَوْ عَلَى سَفَاسِفِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا نَفْعَ فِيهَا وَلَا ضَرَرَ، أَوْ الْحَرَصُ عَلَى الدُّنْيَا حَرَصاً شَدِيداً مَعَ التَّفْرِيطِ فِي شُؤْنِ الْآخِرَةِ. هَذَا مِمَّا يَضِيعُ الْوَقْتَ، وَمِمَّا يَجْلِبُ الضَّرَرَ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَمِمَّا يُضْعِفُ الْإِيمَانَ.

وَالْحَرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُ لَا يَتِمُّ لَكَ إِلَّا بِأَنْ تَتَعَلَّمَ مَا يَنْفَعُكَ، فَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ.

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ: مَا أَثْمَرَ الْخَشْيَةَ فِي الْقَلْبِ، وَأَثْمَرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَثْمَرَ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ؛ هَذِهِ كَلِمَاتُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْحَثِّ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ، فَالْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ الْخَشْيَةُ، وَالْعِلْمُ الْعَمَلُ، وَالْعِلْمُ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ؛ وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ نَافِعاً!

والعلم النافع ضروري لتحصيل ما ينفعك في الدين والدنيا، فقله ﷺ " **احرص على ما ينفعك** "؛ يشمل النفع في شؤون الدين وشؤون الدنيا، والمؤمن يحرص على ما يقربه إلى الله من المنافع الدنيوية.

فلا بد من الحرص على ما يحفظ الصحة والعقل والمال وغير ذلك من شؤون الدنيا؛ ومما يؤدي إلى ذلك من طعام وشراب ومسكن وحرفة وزواج وغير ذلك، ثم تُسخر ذلك لخدمة الآخرة، والتقرب إلى الله تبارك وتعالى.

• ثم قال عليه السلام: " **واستعن بالله** "؛ أي توكل عليه. أي؛ بعد أن أمرك بالحرص على ما ينفعك بأخذ الأسباب المشروعة النافعة في ذلك، أمرك أيضا أن لا تتكل على هذه الأسباب، بل المؤمن يتوكل على الله في تحصيل ما ينفعه، ولذلك قال: "واستعن بالله"، وهذا أمرٌ بالتوكل على الله في تحصيل المنافع، وأن لا تتوكل على الأسباب، فإن العبد لا يفلح ولا يوفق إلا بمعونة الله له.

ولذلك فقد قرن العبادة بالاستعانة في سورة الفاتحة؛ فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽¹⁾ وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾⁽²⁾

فلا يمكن أن نعبد الله إلا بمعونته سبحانه، فالعبد يعبد الله بفضل الله عليه وبمعونته له، والله يُثيبه على ذلك، فالفضل كله لله وحده، فعليك أن تستعين به وحده على عبادته وتحصيل كل ما ينفع.

• ثم قال: " **ولا تعجز** "؛ العجز والكسل من الشيطان. والعجز آفة القوة، وآفة الهمة، يفسخ العزم بسبب العجز. العجز يصدك عن الحرص عما ينفعك، يُثبِّط المؤمن ويلقي في قلبه الكسل ودنو الهمة.

¹ [الفاتحة: ٥]

² [هود: ١٢٣]

وقوله ﷺ: **"واستعن بالله ولا تعجز"** أي: استعن بالله لدفع العجز، واستعن بالله لتحصيل ما ينفع كما تقدم.

ولذلك كان النبي ﷺ يستعيز بالله من العجز والكسل، ونهى عن العجز كما في هذا الحديث وغيره.

فهذه الجملة جامعة في دفع كل ما يعيق تقوية الإيمان، ويضعفه.

■ الجملة الثالثة قال: **«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ [قَدَرُ اللَّهِ] وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**

الجملة الثانية كانت في الاستعانة بالله لتحصيل ما ينفع، ولدفع العجز، ولكن إن وقع لك ما يضرُّك فماذا تفعل؟

الجواب في هذه الجملة.

هذه الجملة فيها: ترك التحسّر والندم إذا أصابك ضرر لأن ذلك مما يُضعف الإيمان.

إذن فهذه الجملة أيضًا في دفع ما يُضعف الإيمان عند المصيبة ويوهن القلب.

فكيف يكون ذلك؟

يكون بالرضى بقدر الله، وترك التحسّر والندم على ما مضى، وأن تؤمن بقضاء الله وقدره وترضى به، وأن لا تعترض على قضاء الله؛ الذي وقع كما أَرَادَهُ اللهُ، وإن كان فيه ضرر عليك؛ ففي باطنه خير.

فالجزع عند المصيبة، والندم على ما فاتك من الدنيا باب يدخل منه الشيطان، ويعمل عمله في القلب.

وعمل الشيطان: هو إفساده في القلب. وإفساده كثير، ومنه:

- أن المتسخط ينسب ما وقع له إلى الأسباب.

- أن المتسخط يعترض على قضاء الله تعالى.

وهذان الأمران كلاهما شرك بالله يُضعف الإيمان.

● العمل الأول من عمل الشيطان: لوم الأسباب.

لوم الأسباب عند المصيبة شَرَك، فالساخط على القدر ينسب ما حصل معه من ضُرٍّ إلى الأسباب، وهذا في الحقيقة شَرَك بالله لأنه يعتقد أن الأسباب هي المؤثرة، فيذهب يلوم نفسه تارة، ويلوم الأسباب تارة، ويلوم فلاناً وفلاناً تارة، وكأن هذه الأسباب هي الفاعلة المؤثرة. فيقول: لو كان كذا لكان كذا؛ وهذا فيه نسبة القدر للأسباب. ويقول لو فعل فلان كذا لكان كذا، ولو لم يفعل كذا لكان كذا؛ وهذا فيه نسبة القدر للمخلوق.

ويقول: لو فعلتُ كذا لكان كذا؛ وهذا فيه نسبة القدر لنفسه. فيجب أن يعتقد المؤمن أن ما حصل له مُقَدَّرٌ من الله، ولا علاقة للأسباب بذلك.

● العمل الثاني من عمل الشيطان: السخط عند المصيبة.

فالساخت لا يرضى بقدر الله، ويعترض على الله، وهذا فيه ما فيه من الشر، ويُضعِف الإيمان. فالساخط يبقى حزيناً لما جرى له، ويقلق ويتحسر، والحزن والقلق والتحسر أمور مذمومة شرعا ولا خير فيها، بل فيها شر، لأنها تُضعِف همّة القلب عن فعل الطاعات، وتُضعِف الإيمان أيضاً، لأنها من عمل الشيطان.

قال تعالى في هذا الشأن: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (1)

أي كل مصيبة لا تقع إلا بقضاء الله وقدره، فمن يؤمن أنها من الله، ويرضى بذلك؛ يهدي الله قلبه فيطمئن، ويرضى ويصبر ولا يجزع ولا يتسخط، وأما من يعتقد أنها من الأسباب يظل ساخطاً ولا يرضى.

قال علقمة النخعي الكوفي رحمه الله. أحد التابعين. في تفسير هذه الآية: (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيُسَلِّمَ لها ويرضى) (2)،

¹ [التغابن: ١١].

² (علقمة البخاري بعد الحديث ٤٩٠٧).

تأمل: المؤمن يعلم أنها من عند الله، لا يربطها بالأسباب ولا بفلان ولا بنفسه، فيرضى حينئذ بقضاء الله ويسلم له.

ومفتاح هذا الشر: (لو) التي فيها اعتراض على قدر الله وقضائه، وتحسّر على ما وقع؛ فيقول لو أنه لم يقع، وفيها نسبة الأمور للأسباب والأشخاص كما تقدم بيانه. هذه هي ال (لو) المحرّمة. أما (لو) التي على وجه الإخبار أو تمنّي الخير؛ فهذه مباحة وقد استعملها الرسول ﷺ وأصحابه.

وتفصيل هذا الموضوع تجدونه في شروحات كتاب التوحيد (باب ما جاء في ال (لو)) وقد أمرنا النبي ﷺ أن نستبدل هذه ال: (لو) المذمومة بما نُغلق به باب الشيطان وعمل الشيطان؛ فماذا نقول؟

نقول: (قَدَرُ الله وما شاء فعل)؛ أي هذا قدر الله وما شاء فعل.

أو نقول: (قَدَرُ الله وما شاء فعل) .

بهذه الكلمة الطيبة تُسبب المصيبة لقدر الله ومشيتته الكونية، هو سبحانه الذي قَدَرَهَا وقضاها، لا مدخل للأسباب فيها. فترضى وتُسَلِّم، ويزول التحسر والندم ويزول الاعتراض والتسخط. وتوقن أن ما وقع لا يمكن أن يقع غيره، لأن هذا الذي وقع هو الذي قضاه الله، وكتبه في اللوح المحفوظ.

هذه هي العقيدة السليمة التي يجب أن يعتقدها المسلم.

وهذه العقيدة تثمر راحة النفس ورضاها عن الله، وهذا يقوي الإيمان.

ولذلك فإن من المقرر عند أهل العلم: (أنه يجب على المؤمن أن يحتجّ بقدر الله عند المصائب،

ولا يجوز أن يحتجّ بالقدر عند المعاصي والمعائب)، لأنه لا حجة له في هذا. أي؛ في الاحتجاج

بالقدر عند المعاصي. لأن العبد اختار المعصية بنفسه، والله نهاه عنها، والعلماء يقولون: (يُحْتَجُّ

بالقدر عند المصائب، ولا يُحْتَجُّ به عند المعاصي والمعائب).

وهكذا نرى أن هذا الحديث قد اشتمل على ثلاث جُمَلٍ جامعة، كلها تحثُّ على قوة الإيمان،

وتحثُّ على أسباب ذلك، وتنتهي عمّا يُضعِفُ الإيمان.



« شرح الحديث الثالث عشر »

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً" وشبك بين أصابعه) . متفق عليه. (1)

وأيضا روى البخاري ومسلم هذا الحديث من حديث النعمان بن بشير: قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" . (2)

وفي رواية عند مسلم قال: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ». (3)

فنجد من مجموع هذه الروايات لهذا الحديث، أن النبي ﷺ شَبَّهَ الْمُؤْمِنِينَ بثلاث تشبيهات: شَبَّهَهُم بِالْبَنِيَانِ، وبالجسد، وبالنفس الواحدة. وسيأتي إن شاء الله توضيح هذا.

الشرح: -

هذا الحديث اشتمل على أصل عظيم وهو: وُجُوب دَوَامِ التَّرَابُطِ وَالتَّرَاحُمِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

ودللت على هذا الأصل نصوص كثيرة جداً من الكتاب والسنة، هذا الحديث واحد منها. فقال: "المؤمن للمؤمن".

أي: هذا الترابط من صفات المؤمنين، ومن علامة الإيمان عندهم. فهذا فيه حثٌّ على هذه الصفات؛ من الترابط والتراحم والتوَادُدِ والتناصر فيما بينهم. ■ وقوله: "كالبنيان":

¹ أخرجه البخاري: (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦) ومسلم: (٢٥٨٥ / ٦٥)

² أخرجه البخاري: (٦٠١١) ومسلم: (٢٥٨٦ / ٦٦) .

³ مسلم (٢٥٨٦ / ٦٢) .

أي؛ في كونه يشد بعضه بعضاً، لقوله بعدها "يشد بعضه بعضاً". فشَبَّه المؤمنين بالبنيان المترابط.

■ وقال في حديث النعمان "كالجسد"، فشَبَّههم بالجسد المتراحم.

■ وفي رواية أخرى لحديث النعمان قال "كرجل واحد"، فشَبَّه المؤمنين بالنفس الواحدة.

ونقف قليلاً عند التشبيه الأول وهو قوله عليه السلام: "كالبنيان".

هذا مَثَلٌ ضربَه النبي ﷺ حتى يُبَيِّنَ عظم نفع الترابط والتوادِّ والتراحم بين أفراد المسلمين. فشَبَّه المؤمن باللبنة، وهذه اللبنة إذا كانت وحدها كانت ضعيفة جداً، ليس لها قوة، فلا تنفع للوقاية من حرٍّ ولا من قرٍّ ولا من عدوّ. ولكن إذا شَيِّدَتْ هذه اللبنة في البنيان شَدَّت اللبَنَات بعضها وصارت حصناً منيعاً لا يقدر أن يخترقه أعداء الأمة، ولا تعبث به الرياح العاتية، فيمنع هذا البنيانُ مَنْ بداخله ويحميهم من الحرِّ والقرِّ والأعداء، هذا لأن اللبَنَات شَيِّدَتْ مع أخواتها، فشد بعضها بعضاً، وهكذا يجب أن يكون المؤمنون؛ مترابطين يشد بعضهم بعضاً، حينئذ لا يقوى عدوّ الجنِّ ولا عدوّ الإنس على اختراقهم.

■ وقول أبي موسى "ثم شبك بين أصابعه":

هذا تشبيه آخر، قال الحافظ ابن حجر⁽¹⁾:

(قَوْلُهُ ثُمَّ شَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ هُوَ بَيَانٌ لَوَجْهِ التَّشْبِيهِ أَيْ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِثْلَ هَذَا الشَّدِّ وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ الَّذِي يُرِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي بَيَانِ أَقْوَالِهِ يُمَثِّلُهَا بِحَرَكَاتِهِ لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ السَّامِعِ) انتهى كلامه.

■ وفي رواية للحديث عند مسلم (٢٥٨٦ / ٦٦) من حديث النعمان بن بشير قال ﷺ: "مَثَلُ

الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

فشَبَّه المؤمنين بالجسد الواحد.

¹ في 'الفتح' (١٠ / ٤٥٠)

وقوله "في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم"؛ هذا هو وجه التشبيه.

قال الحافظ ابن رجب⁽¹⁾: (هذا يدلّ على أن المؤمن يسوؤه ما يسوء أخاه المؤمن، ويحزنه ما يحزنه) انتهى كلامه.

فجاء في هذا الحديث النصّ على الألفة والمودة بين المسلمين، وهذا أصل عظيم دلّت عليه نصوص كثيرة جدًا كما قلنا، ومراعاة هذا الأصل تُعين على أمور عظيمة:

• تُعين على أداء الحقوق الخاصة للأفراد، والحقوق العامة للأمة، ومَنْ أَخْلَ به أَخْلَ بأداء حقوق إخوانه، فينزل عن مرتبة الإيمان، ويُعرّض نفسه للإثم والعقوبة.

• وهذا الأصل أيضًا يُعين على عدم التعديّ على المسلم أو ظلّمه، والظالم أيضًا لا يكون مؤمنًا حتى يرجع عن ظلّمه.

• ويُعين هذا الأصل أيضًا على منفعة المسلمين بأنواع المنافع المُستحبة أو المفروضة على التعيين، أو المفروضة على الكفاية.

فهذا الأصل جامعٌ لكلّ ما يحُثُّ على نصح المسلم، وكفّ الأذى عنه، ورفع الظلم عنه، ومحبّة الخير له، ونصرتّه، ومواساته، والتعاون معه على البرّ والتقوى.

وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة جدًا، منها: قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وقوله: "ليس بالمؤمن الذي يشبع وجاره جائع".

وقوله: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه".

وقوله: "الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه".

وقوله: "لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه". وغير ذلك الكثير، وكلها مأخوذة من عموم قوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾⁽²⁾، ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽¹⁾.

¹ في "جامع العلوم والحكم" (٣٠٦/١)

² [المائدة: ٢]

فإن من مقتضى الأخوة في الله الترابط والتراحم والتناصح، ودفع الأذى، والنصرة في الحق.

■ وفي الرواية الثانية لحديث النعمان بن بشير عند مسلم (٢٥٨٦ / ٦٧) قال: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ».

فشبهه المؤمنين هنا بالرجل الواحد، أي كأن المؤمنين نفس واحدة، فالذي يؤذي واحداً منهم يؤذي الجميع.

وقد خاطب الله المؤمنين في كتابه على أنهم نفس واحدة، في عدد من الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ﴾^(٢) أي؛ ولا يقتل الإنسان نفسه، ولا يقتل بعضكم بعضاً، أي بمعنى أن الذي يقتل أخاه فكأنما قتل نفسه.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ﴾^(٣)

فجعل من يلمز أخاه كالذي يلمز نفسه، لأن المؤمنين حقيقة كنفس واحدة، المؤمنون الذين اكتمل إيمانهم كنفس واحدة.

وهكذا تجد أن هذا الحديث جامع شامل للترابط والتراحم في جميع شؤون حياة المسلمين، وذلك راجع أمرين؛

- الأول: تجاه أفراد المسلمين.
- والثاني: تجاه الدولة المسلمة، أي المجتمع كله.

□ أما الترابط تجاه أفراد المسلمين:

فهذا واجب كفائي غالباً، وقد تقدّم شرحه وتوضيحه، فإذا وقع أحد أفراد المسلمين في مصيبة، أو معصية، أو شبهة، وجب على باقي إخوانه أن يصلحوا هذا الخلل الذي وقع لأخيم، وإلاّ أثم القادر منهم على إصلاحه ولم يفعل.

^١ [الحجرات: ١٠]

^٢ [النساء: ٢٩]

^٣ [الحجرات: ١١]

فهذا من لوازم الأخوة الإيمانية، ومن لوازم النصح لكل مسلم، ومن لوازم التعاون على البرّ والتقوى.

ومنه: إذا وقعت خصومة بين اثنين أو بين طائفتين، وجب على جماعة المسلمين أن يصلحوا بينهم. وهكذا من يحتاج إلى نصرة وجبت نصرتة. وهذا يكون المجتمع المسلم كالبنیان يشدّ بعضه بعضاً، ويكون كالجسد الواحد، وكالنفس الواحدة.

❧ وأما الترابط تجاه المجتمع كله:

فهذا أيضاً واجب كفائي، فالأمة تحتاج إلى إصلاح شؤون الدين، والتعليم، والاقتصاد، والصحة، والصناعة، والزراعة، والتجارة، وهكذا شؤون السياسة الداخلية والخارجية، وتجييش الجيوش، وحماية الثغور والحدود... وغير ذلك.

هذا كله يحتاج إلى من يتصدى له؛ من القادرين عليه المؤهلين له، وأن تتم الكفاية في ذلك، حتى يكون المجتمع المسلم كالبنیان يشدّ بعضه بعضاً، فلا يجد الأعداء إليه سبيلاً، فهذا يشمل الحديث أيضاً.



« شرح الحديث الرابع عشر »

قال المؤلف رحمه الله: (عن أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا أتاه سائلٌ أو طالبٌ حاجةً، قال: «اشْفَعُوا فَلْتُوجَرُوا، وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ما شاء» متفق عليه.)⁽¹⁾

هذا الحديث:

- فيه الحثُّ على السعي في حاجات المسلمين، سواء أثمر السعي أو لم يثمر.
- وفيه الحثُّ على الاستزادة من الحسنات.
- وكلُّ منهما أصلٌ عامٌّ جامعٌ لأبواب كثيرة من الخير. هذا ملخص الحديث.

.الشفاعة في اللغة: من الشَّفَع، وهو ضد الوترالذي هو الفرد الواحد.
والشفاعة في الاصطلاح: هي "طلبُ الخير للغير"، أي: "التوسُّط للغير لجلب نفع له، أو دفع ضرِّعه".

● والشفاعة قسمان:

- شفاعَة عند الله،
- وشفاعة عند الخلق.

وهذا الحديث من القسم الثاني، أما الشفاعَة عند الله؛ فتُبَحِّث في كتب التوحيد والعقيدة. والشفاعة عند الخلق قسمان: حسنة وسيئة.

قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۚ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾⁽²⁾

أي: يَكُنْ للشافع نصيبه من أجر الشفاعَة الحسنة، وله نصيبه من وزر الشفاعَة السيئة.

¹ أخرجه البخاري: (١٤٣٢، ٦٠٢٦، ٦٠٢٧، ٧٤٧٦)، ومسلم: (٢٦٢٧).

² [النساء: ٨٥]

والشفاعة الحسنة: هي "الشفاعة فيما أذن فيه الشرع".

والشفاعة السيئة: هي "الشفاعة فيما لم يأذن فيه الشرع".

فمثلاً.. لا تجوز الشفاعة لإسقاط حدٍّ من الحدود، كحدِّ السرقة والقذف والزنا إذا وصل إلى الحاكم، إلاَّ حدَّ القصاص فيجوز للمعتدى عليه أو لوليِّه العفو، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۖ﴾ (1)

قال ﷺ لأسامة بن زيد لما أراد أن يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت: "أتشفع في حد من حدود الله؟!" (2).

فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.. فأنتهى أسامة على الفور.

وتسمى الشفاعة عند الناس اليوم (الواسطة)، فمن توسَّط لإبطال حق، أو إحقاق باطل، أو للتعدي على حق الغير، أو للإعانة على منكر؛ فهذا كله من الشفاعة السيئة المحرَّمة، وللشافع نصيب من الإثم.

وهذا الحديث. حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. أصل جامع لأبواب كثيرة من الخير، جامع لما تحصَّل به الأجور، من السعي في حاجات المحتاجين، فلا ينبغي أن يُفَرِّط المسلم في أبواب الخير؛ قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (3).

ومن هذه الأبواب: الشفاعة الحسنة عند الخلق.

فيقول راوي الحديث: أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ كان إذا اتاه سائل أو طالب حاجة قال اشفعوا...).

¹ [المائدة: ٤٥].

² أخرجه البخاري: (٣٤٧٥، ٦٨٧٧) ومسلم: (١٦٨٨).

³ مسلم (٢٦٢٦).

فنفهم من سياق كلام أبي موسى رضي الله عنه أن هذا أمرٌ متكرر من النبي ﷺ، وأنه كان يحثُّ الناس على الخير، فإذا جاءه سائل أو طالب حاجة قال: **"اشفعوا فلتؤجروا"**. وقد تقدّم شرح معنى الشفاعة.

أما قوله **"فلتؤجروا"**: أي كي تؤجروا على هذه الشفاعة الحسنة. فأراد الرسول ﷺ بقوله هذا أمرين من الخير:

• أراد لأصحابه أن يؤجروا.

• وأراد الخير للمشفوع له.

وكلا الخيرين راجع إليهم، ولذلك كان يحثهم على الشفاعة الحسنة عنده وعند غيره، لأنهم قد يتهيّبون من الشفاعة عنده لما له من المكانة والمهابة في نفوسهم ﷺ. ولأنه قد يقول قائلهم في نفسه: قد لا يُستجاب لشفاعتي!.

ولذلك قال النبي ﷺ في نفس الحديث: **"ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء"**..

أي: أن الساعي في حاجة أخيه مأجور وإن لم ينجح في مطلبه، فهو مأجور على كل حال. فندب الرسول ﷺ أمته إلى السعي في حاجات الناس ومصالحهم ابتغاء الأجر من الله، لا لشيء آخر. وبين أن شفاعتهم لا تغيّر من قضاء الله شيئاً، ولكنها سبب لتحصيل الأجر.

قال بدر الدين العيني رحمه الله في شرح هذا الحديث: (أي إذا عرض المُحتَاج حَاجةَ عَلِيٍّ، فاشفعوا لَهُ إِلَيَّ، فَإِنَّكُمْ إِذَا شَفَعْتُمْ حَصَلَ لَكُمْ الْأَجْرُ سَوَاءً قَبِلَتْ شَفَاعَتُكُمْ أَوْ لَا، وَيُجْرِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِي مَا يَشَاءُ مِنْ مُوجِبَاتٍ قَضَاءِ الْحَاجَةِ أَوْ عَدَمِهَا، أَي: إِنْ قَضَيْتَهَا أَوْ لَمْ أَقْضِهَا فَهُوَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ)^(١). انتهى كلامه.

ويُستفاد من الحديث: أنه ينبغي للشافع أن لا يتهيّب من الشفاعة عند كبير، لأن النبي ﷺ كان يحثُّ أصحابه أن يشفعوا عنده لمن يريد حاجة، وأن تمنعهم هيبتة من ذلك، لأن ذلك من الحرص على الخير، وعلى تكثير الحسنات.

^١ في 'عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١٥/٢٢)

وأيضاً لا ينبغي أن يأنف الشافع أن يشفع عند صغير، وأن لا يغضب إذا لم تُقضى حاجته، فقد شفع النبي ﷺ لمغيث عند بريرة حتى تعود لزوجها، فأبّت، وقصتهم في صحيح البخاري لمن أراد أن يستزيد.⁽¹⁾

ونرى اليوم تفريطاً عظيماً في هذا الجانب؛ جانب الشفاعة للإصلاح بين الناس، فقد تطول الخصومة لسنوات بين اثنين، أو بين عشيرتين، ولا يتحرك أحد من المسلمين للصالح بينهم. فهذه شفاعة واجبة على القادر عليها، لأن الله أمر بالصالح بين المتخاصمين من المسلمين.

ومثله؛ رفع الظلم عن المظلوم؛ فإن تمّ رفعه بالشفاعة فهذه شفاعة واجبة على من يقدر عليها، لأن نصر المظلوم واجب.

فهذا الحديث مشتمل على أصل جامع في الحثّ على الاستزادة من الخيرات وتكثير الحسنات، والسعي في حاجات المسلمين، سواء أثمر السعي أو لم يثمر، لأن الأجر حاصل في الحالتين.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



¹ البخاري: (٥٢٨١، ٥٢٨٢، ٥٢٨٣).

أسئلة الدرس السادس:

السؤال الأول: قال النبي عليه الصلاة والسلام: "المؤمن القوي خير وأحب..."

1 - أكمل الحديث. 2 - ما المراد بالقوة في الحديث؟ 3 - ما هو الأصل الجامع الذي اشتمل عليه الحديث؟

الجواب:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرَصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ [قَدَّرَ اللَّهُ] وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم.

2- المراد بالقوة قوة الإيمان، لأن القوة بلا إيمان مذمومة في الكتاب والسنة.

3- الأصل الذي دل عليه الحديث هو:

الحث على أسباب قوة الإيمان والإرادة، والتحذير من أسباب ضعف الإيمان، والحث على التنافس في أمور الآخرة؛ للارتقاء في درجات الإيمان.

السؤال الثاني: ما هي الفائدة في قوله عليه السلام: "وفي كل خير"؟

الجواب: هذا احتراز لا بد منه عند المفاضلة بين فاضلين حتى لا يتوهم السامع الحط من شأن المفضل.

السؤال الثالث: اشرح بإيجاز قول الرسول ﷺ: "احْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ".

الجواب: أرشد النبي عليه السلام إلى ما يقوي إيمان العبد وينفعه في دينه ودنياه، وحذر مما يضعف الإيمان.

فهذه الجملة تفيدنا الحرص على الأسباب النافعة التي تقوي الإيمان، وترك الأسباب التي

تضعفه، والجالبة للضرر في الدين والدنيا، وذلك قوله: "أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ".
وتفيدنا التحذير مما يعيق قوة الإيمان ويضعفها وذلك لقوله: "وَلَا تَعْجَزْ".
مع الاستعانة بالله على هذا وذاك والتوكل عليه، لقوله: "وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ".
فهذا كله يقوي إيمان العبد وهو نافع له في دينه ودنياه.

السؤال الرابع: اشرح قول النبي ﷺ: "فإن لو تفتح عمل الشيطان".

الجواب: هذا عند الفشل وعند المصيبة؛ فالناس عند الفشل وعند المصيبة ثلاثة أصناف:

- صنف يجزع ويلوم الأسباب، فيقول: "لو فعلت كذا لكان كذا"، وهذا شرك، لأن الأسباب مخلوقة غير فاعلة مع الله.
- وصنف يتسخط على قضاء الله ويلوم ربه ولا يرضى بقضائه، فهذا ينافي الصبر الواجب.
- وصنف يرضى بقضاء الله ويسلم له، لأنه يعلم أن ما أصابه من قدر الله وأن في باطنه الخير له ولو لم يعلمه.

السؤال الخامس: ما هي الامثال المضروبة في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "المؤمن للمؤمن

كالبنين"؟ وقوله: "كالجسد"؟ وقوله: "كرجل واحد"؟

الجواب: شبه الرسول عليه الصلاة والسلام المؤمنين بالبنين في الترابط، وبالجسد في التراحم، وبالنفس الواحدة في المحبة والمودة.

السؤال السادس: اشتمل قوله عليه الصلاة والسلام: "اشفعوا تؤجروا" على أصليين جامعين. ما

هما؟

الجواب:

- الأصل الاول: الحث على السعي في حاجات المسلمين.
- الأصل الثاني: الحث على الاستزادة من الحسنات، وعدم الزهد فيها مهما بدت قليلة،

فإنها عظيمة عند الله.

السؤال السابع: ماذا تفهم من قوله عليه الصلاة والسلام: "ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء"؟

الجواب: المراد أن الشافع لأخيه مأجور على كل حال، سواء قضى الله على لساني أن أقضي حاجته أم لا.

■ ■ والحمد لله رب العالمين ■ ■

